

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

رَبُّ نَفْيِ تَهْمَةٍ
الْجَنُونَ عَلَى
النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ،
بِالدَّعْوَةِ
إِلَى النَّظَرِ
وَالِاسْتِدْلَالِ
الْعَقْلِيِّ

لَمَّا كَانَ النَّظَرُ فِي أَمْرِ النُّبُوَّةِ مُفْرَعًا عَلَى تَقْرِيرِ أدْلَةِ التَّوْحِيدِ، وَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْإِنْذَارِ بِقَوْلِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ الرَّجُوعَ عَنِ الْإِلْحَادِ، قَالَ مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ عَدَمَ النَّظَرِ فِي دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ الرَّادِّ عَنْ كُلِّ حَالٍ سَيِّئٍ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ نَظَرَ تَأَمُّلٍ وَعَتَبَارٍ، نَظَرَ بَصِيرَةٍ لَا بَصَرٍ، إِشَارَةً إِلَى كُلِّ ذَرَّةٍ فِيهَا دَلَائِلُ جَمَّةٌ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَكَمَالِهِ وَجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، وَيَنْظُرُوا كَذَلِكَ نَظَرَ إِشْفَاقٍ وَخَوْفٍ مِنْ أَنَّهُ مُمَكِّنٌ وَخَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ قَدْ دَنَا أَجْلُهُمْ دُنُوءًا عَظِيمًا، فَيَجْتَهِدُوا فِي الْإِسْتِعْدَادِ لَذَلِكَ الْيَوْمِ وَالْخَلَاصِ مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِمْ، فَدَعَاهُمْ الْقُرْآنُ إِلَى النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ الْعَقْلِيِّ⁽¹⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مَلَكُوتٍ﴾: مَلِكُهُ يَمْلِكُهُ بِالْكَسْرِ (مَلِكًا) بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَبِفَتْحِ الْمِيمِ (مَلَكًا)، وَبِضْمِهَا، وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ، وَالْمَلَكُوتُ: مِنَ الْمَلِكِ، مَخْتَصُّ بِمَلِكِ اللَّهِ، وَهُوَ مَصْدَرُ مَلِكٍ، أَدْخِلَتْ فِيهِ التَّأَنُّ لِلْمِبَالِغَةِ، نَحْوُ: رَحِمَوتُ وَرَهَبُوتُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِىْ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 75]⁽²⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى هُنَا: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: فِيمَا خَلَقَ اللَّهُ، فَإِنَّ فِي كُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 420/15 - 421، والبقاعي، نظم الدرر: 181/8 - 183.

(2) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (ملك).

عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَفَكِّرِينَ، وَأَخْصُهَا مَا كَانَ مِنْ جَلَائِلِ مَصْنُوعَاتِهِ كَمَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ⁽¹⁾.

(2) ﴿أَجَلُهُمْ﴾: الأجل: المدة المضروبة للشيء، قال تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ [إفغاف: 67]، ويُقال: دَيْنُهُ مُؤَجَّلٌ، وقد أَجَلْتُهُ: جعلتُ له أَجَلًا، ويُقالُ للمدَّةِ المضروبة لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ: أَجَلٌ، فيُقالُ: دَنَا أَجَلُهُ، عبارة عن دُنُو الموت، وأصله: اسْتِيفَاءُ الْأَجَلِ، أي: مُدَّةُ الْحَيَاةِ⁽²⁾، وقوله تعالى هنا: ﴿قَدْ أَقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾، أي: حَدُّ الْمَوْتِ، فيموتونَ من قَرِيبٍ⁽³⁾، يجوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْأَجَلِ فِي الْآيَةِ مَجِيءُ السَّاعَةِ، وانْقِرَاضُ هَذَا الْعَالَمِ، فَهُوَ أَجَلُهُمْ وَأَجَلُ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، واقْتِرَابُ الْأَجَلِ اقْتِرَابُ السَّاعَةِ، وَيَكُونُ هَذَا الْكَلَامُ تَخْوِيفًا لَهُمْ مِنْ يَوْمِ الْجَزَاءِ، لَعَلَّهُمْ يَعُودُونَ إِلَى الرُّشْدِ وَإِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ⁽⁴⁾، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْأَجَلِ الْمَوْتُ، فَكُلُّ مَنْ مَاتَ انْقَضَى أَجَلُهُ، وَحَلَّتْ سَاعَتُهُ، وَفِي ذَلِكَ تَخْوِيفٌ وَإِنذَارٌ شَدِيدٌ لَهُمْ⁽⁵⁾.

(3) ﴿حَدِيثٌ﴾: حَدَّثَ: الْحَاءُ وَالذَّالُّ وَالنَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَوْنُ الشَّيْءِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، عَرَضًا كَانَ أَوْ جَوْهَرًا، وَإِحْدَاثُهُ: إِيجَادُهُ، وَالْحَدِيثُ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ يَحْدُثُ مِنْهُ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ، وَكُلُّ كَلَامٍ يَبْلُغُ الْإِنْسَانَ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ أَوْ الْوَحْيِ فِي يَقْظَتِهِ أَوْ مَنَامِهِ يُقَالُ لَهُ: حَدِيثٌ، قَالَ ﷺ: ﴿وَأُذِ اسْرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ [التَّحْرِيم: 3]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يُوسُف: 101]، أَي: مَا يُحْدِثُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ، وَسَمَّى اللَّهُ كِتَابَهُ حَدِيثًا، فَقَالَ: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ [الطُّور: 34]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النِّسَاء: 87]⁽⁶⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى هُنَا: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ أَي: بِأَيِّ حَدِيثٍ أَحَقُّ مِنْ حَدِيثِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ قَبْلَ اقْتِرَابِ أَجَلِهِمْ وَقَوَتْ حَيَاتِهِمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا⁽⁷⁾؟

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يُخَاطَبُ اللَّهُ تَعَالَى الْكَافِرِينَ فَيَقُولُ: أَوَلَمْ يَنْظُرْ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ بِآيَاتِنَا فِي مُلْكِ اللَّهِ

(1) الشَّوْكَانِي، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 388/2.

(2) الزَّائِغُ، لِلْفَرْدَاتِ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (أَجَلٌ).

(3) الزَّائِغُ، لِلْفَرْدَاتِ: (أَجَلٌ)، وَالشَّوْكَانِي، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 388/2.

(4) الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 133/2، وَابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 198/9.

(5) أَبُو حَيَّانٍ، الْبَحْرُ لِلْحَيْطِ: 235/5، وَأَبُو الشَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 443/2.

(6) ابْنُ فَارَسٍ، مَقَابِيسُ اللَّغَةِ، وَالزَّائِغُ، لِلْفَرْدَاتِ: (حَدَّثَ).

(7) الزَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 134/2.

توبيخ المشركين
على عدم التأمل
في الكون، وعدم
الحذر من الأجل
وسوء المصير

وسُلْطَانِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِيمَا خَلَقَ مِنْ شَيْءٍ فِيهِمَا،
فَيَتَذَكَّرُوا ذَلِكَ وَيَعْتَبِرُوا بِهِ، وَيَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ لِمَنْ لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ،
وَمَنْ فَعَلَ مَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ وَالِدَيْنِ الْخَالِصُ إِلَّا لَهُ فَيُؤْمِنُوا
بِهِ وَيُصَدِّقُوا رَسُولَهُ، وَيُتَّبِعُوا إِلَى طَاعَتِهِ، وَيَخْلَعُوا الْأَنْدَادَ وَالْأَوْثَانَ،
وَيَحْذَرُوا أَنْ تَكُونَ آجَالُهُمْ قَدْ أَقْتَرَتْ فَيَهْلِكُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَيَصِيرُوا
إِلَى عَذَابِ اللَّهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ، فَبِأَيِّ تَخْوِيفٍ وَتَحْذِيرٍ وَتَرْهِيْبٍ بَعْدَ
تَحْذِيرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَرْهِيْبِهِ، الَّذِي أَتَاهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فِي أَيِّ كِتَابِهِ
يُصَدِّقُونَ، إِنَّ لَمْ يُصَدِّقُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ (1).

وَتُرْشِدُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِلَى ضَرُورَةِ النَّظَرِ إِلَى الْمَوْتِ، وَإِلَى أَنَّ
الْأَجَلَ الَّذِي أَقْتَتْ لِحَيَاةِ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ انْتَهَى، وَهَذَا التَّذْكِيرُ
فِيهِ فَوَائِدُ:

أولاهَا: أَنَّ غُرُورَ الْحَيَاةِ يَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى الطَّغْيَانِ فِيهَا، فَيَنْهَوِي
إِلَى ضَلَالِهَا، فَإِذَا ذُكِّرَ بِالْمَوْتِ عَلِمَ أَنَّهَا فَانِيَةٌ فَيَقِلُّ طَغْيَانُهُ وَغُرُورُهُ
بِهَا، وَتَلِكُ نَافِذَةُ الْإِيمَانِ.

ثانيهَا: أَنَّ تَذَكُّرَ الْمَوْتِ يَدْفَعُ إِلَى التَّفَكُّيرِ فِي قِيَمَةِ الْحَيَاةِ،
فَإِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ قِيَمَتَهَا عَرَفَ قِيَمَةَ الدُّنْيَا؛ وَلِذَلِكَ كَانَ بَعْضُ
الصَّالِحِينَ إِذَا عَزَى فِي وَفَاةٍ قَالَ: (اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِالْمَوْتِ)؛ لِأَنَّهُ
عِبْرَةٌ فِيهِ إِذَا زَارَ بِالنَّهَايَةِ، فَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَالْحَيَاةُ
تَكُونُ لغيرِ غَايَةٍ.

ثالثُهَا: أَنَّ التَّفَكُّيرَ فِي الْمَوْتِ وَالنَّظَرَ فِيهِ يَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْإِيمَانِ
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَنَّ حَيَاتِهِ لَيْسَتْ عَبَثًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) [الْمُؤْمِنُونَ: 115] (2).

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 249/2.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3021/6.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الجملة على الترقّي في الإنكار والتعجيب من حالهم:

الجملة تَرَقَّى في الإنكار والتعجيب من حالهم في إعراضهم عن النَّظَرِ في حالِ رسولهم إلى الإنكار والتعجيب من إعراضهم عن النَّظَرِ فيما هو أوضح من ذلك وأعم، وهو مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وما خَلَقَ اللهُ من شيءٍ ممَّا هو آياتٌ من آياتِ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ تعالى الَّتِي دعاَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ إلى الإيمان بها⁽¹⁾.

المبالغة
في الإنكار
والتعجيب، من
الأوضح بعد
الواضح

دلالة الاستفهام ومعناه، في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾:

ساقَ اللهُ قولَه ﷺ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ بصيغة الاستفهام الإنكاريّ التوبيخيّ؛ بإخلاقهم بالتأمل في الآياتِ التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس الشاهدة بصحة مضمون الآياتِ المنزلة، إثرَ ما نعى عليهم إخلالهم بالتفكير في شأنه ﷺ - كما تقدّم أنفاً -⁽²⁾، فأتبعَ غفلتهم عن التفكير في أمر رسولهم، بالإنكار عليهم في الغفلة عن التفكير فيما هو أوضح من الاهتداء بالدلالة الكونية على وجود الخالق وتفرُّده.

الاستفهام
لتوبيخهم، عن
عدم تأملهم في
آياتِ الله

بلادة حذف المعطوف عليه:

الواو في قوله: ﴿أَوَلَمْ﴾ للعطف على المقدّر المذكور، أو على الجملة المنفية بـ(لم)، مؤكّداً تكذيبهم، والمكذب لا يتفكر ولا ينظر نظرَ تأمل، أي: كذبوا بها أو لم يتفكروا فيما ذكر، ولم ينظروا نظرَ تأملٍ فيما تدلُّ عليه السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ من عِظَمِ الْمُلْكِ وكمالِ القُدرة⁽³⁾، ويمكن أن يكونَ تقديرُ المحذوف بالاستهداء بما بعده فيكونَ المعنى: أَعْمُوا ولم ينظروا؛ إلماعاً إلى أنّ عدم الانتفاع بنعمة النَّظَرِ في تدبّر آياتِ اللهِ في كونه يُشبهُ فَقْدَانَ البَصَرِ.

الغفلة عن
التفكير، ديدن
كل منكر كفورٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 196/9.

(2) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 443/2.

(3) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 443/2.

دلالة التعبير بالفعل المضارع، وتغديته بحرف الجر ﴿في﴾:

التَّفَكُّرُ فِي الْخَلْقِ
الرَّبَّانِيُّ، يَهْدِي
إِلَى الْمَسَارِ
الْإِيمَانِيِّ

الفعل المضارع يفيد التَّجَدُّدَ والاستمرار، وقوله في الآية الكريمة: ﴿يَنْظُرُوا﴾ يفيد الدعوة لوجوب استمرار النَّظَرِ بتأمل وتدبُّرٍ في ملكوت السماوات والأرض، وما فيهما من آياتٍ دلّلتِ وحدانيّة الله وعظيم قدرته في خلقه، ولذلك عدّي الفعل المضارع ﴿يَنْظُرُوا﴾ إلى متعلّقه بحرف الظرفيّة ﴿في﴾؛ ليفيد ديمومة النَّظَرِ بتفكير عميق مُتَغَلِّلٍ في أصناف الموجودات، وهي ظرفيّة مجازيّة⁽¹⁾.

وَجْهٌ كَوْنِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ضَمِيرًا:

الْكَفَّارُ يُعِينُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا
عَلَى الْغَفْلَةِ
وَعَدَمِ الْاِغْتِبَارِ

جاء إسناده الفعلين المضارعين في قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُوا﴾ ومن قبله ﴿يَتَفَكَّرُوا﴾ إلى الواو (واو الجماعة)؛ تعبيرًا عن جماعة الكافرين المشركين بصيغة الاستفهام الإنكاريّ التّعجّبيّ التّقريعيّ؛ بإخلالهم بالتأمّل في آيات الله التّكوينيّة تفكُّرًا ونظرًا متدبّرًا، إثر ما نعى عليهم إخلالهم بالتّفكّر في شأنه ﷻ⁽²⁾، وفي الإسناد إلى ضمير الجماعة دلالة على إعانة بعضهم بعضًا على الضلال والغفلة، فالفكرة إذا اجتمع عليها جمعُ ظنُّوا أنّهم على الحقّ.

إيثار استخدام (الملكوّ) على (الملك):

اتَّسَاعُ الْمَلَكُوتِ،
دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ
مُلْكِ الْحَيِّ الَّذِي
لَا يَمُوتُ

الملكوّ: مصدرٌ كالرَّحْمَتِ والرَّهْبَتِ والجَبَرَتِ، والواو والتّاء فيه للمبالغة، وظاهره أنّ معناه الملك - بكسر الميم - لأنّ مصدرَ مَلَكَ: المَلِكُ - بكسر الميم - ولمّا كان فيه زيادةٌ تُفيدُ المبالغة، كان معناه: المَلِكُ الوَسِيْعُ الفَسِيْحُ الدَّالُّ على قُوَّةِ الملك المالك، ومُلْكُ الله ومَلَكُوتُهُ: سُلْطَانُهُ، وإِفْلَانِ مَلَكُوتِ الْعِرَاقِ، أي: سُلْطَانُهُ وَمِلْكُهُ، وهذا يقتضي أنّه مرادفٌ للمُلْك - بضمّ الميم⁽³⁾، "والمَلَكُوتُ يُطلقُ مصدرًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 196/9.

(2) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 443/2.

(3) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (ملك).

للمبالغة في الملْك، وأنَّ الملْك - بالضم - لما كان ملْكًا - بالكسر - عظيمًا يُطلَق عليه أيضًا الملْكوت⁽¹⁾.

نُكْتَةُ الإِضَافَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

إِضَافَةُ الْمَلَكُوتِ إِلَى ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِضَافَةٌ بَيَانِيَّةٌ، تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَلِكَ هُوَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَي: مَلِكُ اللَّهِ لِهَمَا⁽²⁾، وَمَلِكُ اللَّهِ تَعَالَى مُحِيطٌ بِكُلِّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ خَلْقٍ وَأَمْرٍ. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ أَنَّهُ أَرَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ لِيَتَيَقَّنَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَعَظَمَةِ خَلْقِهِ وَحِكْمَتِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75].

البيان النَّاصِعُ،
يُقَوِّي الْعَنَى
وَيُوضِّحُهُ
وَيُعْضِّدُهُ

دَلَالَةُ جَمْعِ السَّمَاوَاتِ، وَإِفْرَادِ الْأَرْضِ:

دَلَّ الْجَمْعُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عَلَى أَنَّ كُلَّ سَمَاءٍ مُسْتَقِلَّةٌ عَنْ غَيْرِهَا مُنْفَصِلَةٌ عَنْهَا، وَدَلَّ إِفْرَادُ الْأَرْضِ فِي السِّيَاقِ الْكَرِيمِ عَلَى أَنَّ الْأَرْضَ طَبَقَاتٌ مُلتَصِقَةٌ، فَمَا يَزِلُّ الْحَقُّ بَيْنَهُمَا لِبَيَانِ هَذَا الْحَالِ، كَمَا قَالَ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطَّلَاق: 12] ⁽³⁾.

السَّمَوَاتُ سَبْعٌ
مُسْتَقِلَّاتٌ،
وَالْأَرْضُ طَبَقَاتٌ
مُلتَصِقَاتٌ

مَعْنَى الْعَطْفِ بِالْوَاوِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقَ﴾:

دَلَّ الْعَطْفُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بِالْوَاوِ، عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى ﴿مَلَكُوتِ﴾، أَي: وَفِيمَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهِمَا، أَي: فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَخْصِيصُهُ بِهِمَا لِكَمَالِ ظُهُورِ عِظَمِ الْمَلِكِ فِيهِمَا، أَوْ فِي مَلَكُوتِ مَا خَلَقَ عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ⁽⁴⁾.

اللَّهُ تَعَالَى
يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ، وَمَا
فِيهِنَّ

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 316/7.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 196/9.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 196/9.

(4) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 443/2، وابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 196/9.

دلالة الاسم الموصول (ما):

الإحاطة بكل
ما يصدق عليه
اسم الشيء

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: فيما خلق الله من شيء، أي: في الذي خلقه الله ممّا يقع عليهم اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد، ولا يحيط بها الوصف، فهو لفظ يعم جميع ما يُنظر فيه نظر تفكير وتأمل وتدبر⁽¹⁾، و(ما) هي أعم الموصولات وأدخلها في الإبهام؛ لذا اصطفيت على الاسم الموصول المخصوص.

سِرُّ استخدام الصلة، جملة فعلية فعلها ماضٍ ﴿وَمَا خَلَقَ﴾:

خلق الله
للمخلوقات،
مستمر لا ينقطع

جاءت جملة الصلة مُصدّرة بـ ﴿خَلَقَ﴾ وهو فعل ماضٍ؛ دلالة على أن خَلَقَ الله قائم في كل شيء، وما يزال لم ينقطع، وهو مَبْثُوثٌ يروّنه بأم أعينهم، يُستدل به من الصنعة الدالة على الصانع، ومن نفس الإنس وحواشيه ومواضع رزقه، وبإسباغ نعمة على الكائنات جميعها بعظم خلقه وواسع جوده ورحمته بهم، وتمايم عجز غيره عن كل شيء وتناهي جهله بكل شيء⁽²⁾.

دلالة استخدام الفاعل اسم الجلالة ﴿اللَّهُ﴾:

التفرد بالخلق،
ألوهية
تستوجب
العبودية

الله هو الحقيق بالإلهية دون غيره، والنظر إلى المخلوقات دليل على عظم قدرته تعالى، وأنه المتفرد بالصنع فهو الحقيق بالإلهية، فلو نظروا في ذلك نظر اعتبار؛ لعلّمو أن خالق ذلك كله ليس إلا إله واحد، ولزال إنكارهم دعوة رسول الله ﷺ إلى إبطال الشرك⁽³⁾.

نكتة حذف الجار والمجرور في المعنى (فيهما):

الخلق يعم كل
شيء، والله
خالق كل شيء

دل حذف الجار (فيهما) المقتضي ارتباطه بضمير لو ذكر لعاد للسموات والأرض وما فيهن، فدل بحذفه على أن خَلَقَ الله أوسع من خَلَقَ السموات والأرض وما فيهما، دل على ذلك قوله:

(1) الزمخشري، الكشاف: 133/2، وابن عطية، المحرر الوجيز: 483/2، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 443/2.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 483/2، والبقاعي، نظم الدرر: 182/8 - 183.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 420/15 - 421، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 196/9 - 197.

﴿شَيْءٍ﴾، واسْمُ الشَّيْءِ يَصْدُقُ عَلَى كُلِّ مَا هُوَ أَشْمَلُ وَأَعَمُّ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَالْعَلَمُ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَسَائِرِ شُؤْنِهِ فِي خَلْقِهِ وَالَّتِي يَنْطَلِقُ بِهَا آيَاتُ اللَّهِ الْمُبْتَوِّثَةُ فِي كَوْنِهِ وَسُنَنِهِ الْخَلْقِيَّةِ، وَمَا يَضُمُّهُ هَذَا الْكَوْنُ الْفَسِيحُ مِنْ جَلَائِلِ الْمَصْنُوعَاتِ وَدَقَائِقِهَا فِي خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجَانِّ وَجَمِيعِ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ مِمَّا لَا يَحِيطُ الْوَصْفُ بِهِ، وَمِمَّا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى، كُلُّ ذَلِكَ يَقَعُ تَحْتَ اسْمِ (الشَّيْءِ)، وَالْأَفَانِ (فِيهِمَا) تُحْجَرُ وَاسْعًا وَتُضَيِّقُ رَحْبًا، فَكُلُّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْأَكْوَانِ مِمَّا عَزَّ وَهَانَ دَلِيلٌ لَائِحٌ عَلَى الصَّانِعِ الْمَجِيدِ، وَسَبِيلٌ وَاضِعٌ إِلَى عَالِمِ التَّوْحِيدِ⁽¹⁾. قَالَ ﷺ: ﴿ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾ [الأُنْعَام: 102].

دَلَالَةُ التَّكْيِيدِ بـ﴿مِنْ﴾ الدَّاخِلَةِ عَلَى التَّكْرَرِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ دَخَلَتْ (مِنْ) عَلَى ﴿شَيْءٍ﴾، وَهِيَ نَكْرَةٌ فَأَفَادَتْ عَدَمَ اخْتِصَاصِ الدَّلَالَةِ الْمَذْكُورَةِ بِجَلَائِلِ الْمَصْنُوعَاتِ دُونَ دَقَائِقِهَا، لَيْسَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَحَسْبُ؛ بَلْ لَتَوَكَّدَ النَّظَرُ وَالتَّدَبُّرُ فِي كُلِّ مَا يَنْطَلِقُ وَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِ اسْمُ الشَّيْءِ⁽²⁾.

مَعْنَى الْعَطْفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْ عَسَى﴾:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ عَسَى﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، وَهَذَا الْعَطْفُ مُتَّصِلُ الْبَيَانِ فِي سِلْسَلَةٍ مَجِيئِهِ فِي السِّيَاقِ، حَيْثُ وَبَّخُوا عَلَى انْتِفَاءِ نَظَرِهِمْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - وَهِيَ أَعْظَمُ الْمَصْنُوعَاتِ - وَأَدْلَتْهَا عَلَى عَظَمَةِ الصَّانِعِ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ شَيْئًا عَامًّا وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، فَانْدَرَجَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِيمَا خَلَقَ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ شَيْئًا يَخْصُ أَنْفُسَهُمْ

تأكيد أن كل ما يصدق عليه اسم (شيء)، داخل في الخلق

النَّظَرُ فِي الْمَلَكُوتِ، يَقْتَضِي النَّظَرَ فِي اخْتِمَالِ قُرْبِ الْأَجْلِ

(1) الفخر الرَّازِي، مفاتيح الغيب: 420/15 - 421، والبقاعي، نظم الدرر: 235/5، وأبو السَّعُود، إرشاد العقل السَّليم: 443/2.

(2) ابن عَطِيَّة، الحَزْرُ الْوَجِيز: 483/2، وأبو السَّعُود، إرشاد العقل السَّليم: 443/2.

وهو انتفاء نظرهم وتفكيرهم في أن أجلهم قد اقترب فيبادرهم الموت على حالة الغفلة عن النظر فيما ذكر، فيؤول أمرهم إلى الخسارة وعذاب النار، فتبهمهم على التفكير في اقتراب الأجل لعلهم يبادرون إليه، وإلى طلب الحق فيخلصهم من عذاب الله قبل مفاضة الأجل وحلول الموت⁽¹⁾.

بلاغة الترتيب في المنظور فيه، من خلق الله البديع:

البداء بالأعظم
ثم ما يليه،
للتذكير بالترحيل
عن الدنيا

ورد في السياق القرآني لهذه الآية الكريمة التدرج من النظر والتفكير في السماوات والأرض، ثم فيما خلق الله، (السماوات، الأرض، المخلوقات، اقتراب أجلهم)، فقد بدأ معهم ببيان الله تعالى بالأكبر والأعظم ثم ما دونه، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: 57]، وهذا الترتيب في المنظور يفضي بهم إلى إعداد العدة اللازمة لتدارك ما فاتهم من خير، وندمهم عما قدموه من شر قبل أن يأتيهم أجلهم وهم في غفلة ساهون، وعن حقائق خلقهم وحكمة وجودهم معرضون⁽²⁾.

حذف اسم (أن) ودلالته:

اسم (أن) ضمير
الشأن، وهو أن
يكون قد اقترب
الموت وهم في
غفلة

اسم (أن) محذوف، وهو ضمير الشأن المقدّر - كما تقدّم آنفاً - وهو حث على النظر بطريق الاستفهام الإنكاري التعجبي التقريري، والمعنى: أولم ينظروا في أن الشأن عسى أن يكون الشأن قد اقترب أجلهم⁽³⁾.

وجه تقديم خبر (يكون) على اسمها:

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَقْتَرَبَ﴾ هو خبر ﴿يَكُونُ﴾ و﴿أَجَلُهُمْ﴾ اسمها، وقد تقدّم الخبر على الاسم هنا تقدماً في الحكم، ويضعف تقديم اسم ﴿يَكُونُ﴾، على تقدير: يكون أجلهم قد اقترب؛ لأن الخبر

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 235/5.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 421/15، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 197/9.

(3) الزمخشري، الكشاف: 133/2، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 443/2.

لا يتقدّم في نحو قول: زيد قام؛ حيث إنّ مناط الإنكار والتوبيخ تأخيرهم للنظر والتأمل، أي: لعلهم يموتون عمّا قريب، فمالهم لا يُسارعون إلى التدبّر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذّبوه من الآيات القرآنية، فالمعول عليه هو اقتراب الأجل قبل حلوله فتادياً لموتهم وهم في غفلتهم⁽¹⁾.

دلالة استخدام ﴿قَدْ﴾ ودخولها على الماضي، وصلتها بما بعدها:

أفاد قوله: ﴿قَدْ﴾ قبل ﴿اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾ إلى تحقق قرب أجلهم، والمعنى: ألم ينظروا في توقّع قرب أجلهم، وصيغ الكلام على هذا النظم لإفادة تهويل الأمر عليهم وتخويفهم، بجعل متعلّق النظر من معنى الإخبار بأمر متوقّع الحدوث، وذلك للدلالة على أنه أمر من شأنه أن يخطر في النفوس، وأن يتحدث به الناس، وأنّه قد صار حديثاً وخبراً، فكانه أمر مسلم مقرر⁽²⁾.

معنى الأجل ودلالة اقترابه:

يجوز أن يكون المراد بالأجل مجيء الساعة، وانقراض هذا العالم، فهو أجلهم وأجل غيرهم من الناس، واقتراب الأجل اقتراب الساعة، ويكون هذا الكلام تخويفاً لهم من يوم الجزاء لعلهم يعودون إلى الرشد وإلى الصراط المستقيم⁽³⁾، ويجوز أن يراد بالأجل الموت، فكل من مات انقضى أجله، وحلّت ساعته، وفي ذلك تخويف وإنذار شديد لهم⁽⁴⁾.

دلالة إضافة الأجل للكافرين، في قوله: ﴿أَجْلُهُمْ﴾:

الإضافة إلى ضمير (هم) في قوله: ﴿أَجْلُهُمْ﴾ ملابستهم للساعة من جهة إنكارهم لها وبخثهم عنها⁽⁵⁾.

المعول عليه
قرب الأجل قبل
وقوعها؛ لأنّ
الموت يأتي بغتة

قرب الأجل
محقق مقرر،
وإذا حضر الأجل
فلا مفرّ

الأجل إمّا يوم
القيامة أو
الموت، وكلّ
منهما تخويف
وترهيب

إسناد الأجل
لهم؛ لأنّهم
ملايسون
للساعة مع
إنكارهم
لوقوعها

(1) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 443/2، والشوكاني، فتح القدير: 388/2.

(2) أبو حيّان، البحر المحیط: 236/5، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 197/9.

(3) الرّمخشري، الكشف: 133/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 198/9.

(4) أبو حيّان، البحر المحیط: 235/5، وأبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 443/2.

(5) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 443/2.

معنى (الفاء)، في قوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾:

إفادة السياق
التأيس من
إيمان الكافرين،
الذين أصروا
على الكفر

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾، هي الفصيحة التي تَفْصَحُ عن محذوف، وأفادت مع ما بعدها هنا التأيس والتعجب من حالهم، والتقدير: فإذا لم ينظروا بتفكير وتدبر في آيات الله البينات ولم يُبادروا إلى الإيمان بالقرآن، فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا فإنهم لن يؤمنوا⁽¹⁾.

معنى الباء في قوله: ﴿فَبِأَيِّ﴾ بين التعدية، والسببية:

الباء متعلقة
بفعل (يؤمنون)،
وبحمل الحديث
على الحقيقة أو
المجاز

الباء في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ بَاءُ التَّعْدِيَةِ، لتعدية فعل ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وذلك في حَمَلِ الحديث على حقيقته ويراد به القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطُّور: 34]، ويمكن أن يراد به دَعَايُ مُحَمَّدٍ ﷺ الرِّسَالَةُ من عند الله - وسيأتي بيانه في عَوْدِ الضَّمِيرِ فِي ﴿بَعْدَهُ﴾ - وفي كلا الاحتمالين يُناسِبُ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾ [الأعراف: 184].

والباء يمكن أن تكون للسببية متعلقة بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، وذلك إن حُمِلَ الحديث على المجاز فيشمل القرآن وغيره من دلائل آيات الله، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: 6]، ويكون المعنى: فبأي شيء يُستدل عليهم غير ما ذُكِرَ بعد أن ينتفعوا بدلالة ما ذُكِرَ، ولم يؤمنوا له فلا يرجى منهم إيمان بعد ذلك⁽²⁾.

دلالة الاستفهام بالأداة (أي):

الاستفهام
الإنكاري
التعجبي، ذو
أنثر في السياق

(أي) في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ استفهامية سيقَّتْ للإنكار وللتعجب، أي: إذا لم يؤمنوا بهذا الحديث فكيف يؤمنون بغيره؟! أي: لا يؤمنون بشيء من الحديث بعد هذا الحديث⁽³⁾.

(1) الزمخشري، الكشاف: 134/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 330/25، والدعاس، إعراب القرآن: 410/1.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 198/9 - 199.

(3) السمين الحلي، الدرر للصون: 527/5، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 198/9.

معنى لفظ ﴿حَدِيثٌ﴾ بين الحقيقة والمجاز:

حقيقة الحديث أنه الخبر والقصة الحادثة، كما في قوله تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الذاريات: 24].

ويُطلق مجازاً على الأمر الذي من شأنه أن يصير حديثاً، وهو أعم من المعنى الحقيقي⁽¹⁾.

دلالة تنكير لفظ ﴿حَدِيثٌ﴾:

أفاد تنكير قوله: ﴿حَدِيثٌ﴾ على عموم ما يصدق عليه لفظ ﴿حَدِيثٌ﴾ من حيث الحقيقة والمجاز، فيراد في الأول: القرآن أو دعوى رسالة محمد ﷺ، وفي الثاني: ما تقدم في الأول وجميع آيات الله تعالى في خلقه وكونه في الآفاق والأنفس، فإن ذلك كله من شأنه أن يُسمى حديثاً⁽²⁾.

معنى الظرف بلفظ (بعد):

و(بعد) - في قوله تعالى: ﴿فَبَآئِيَ حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾ - مُستعارة لمعنى (غير)؛ لأنَّ الظروف الدالة على المباعدة والمفارقة تُستعمل استعمال المغاير، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: 23]، وحمل (بعد) على حقيقتها هنا يُحوِّج إلى تأويل، ويُخرج الكلام عن سواء السبيل⁽³⁾.

مرجع الضمير في ﴿بَعْدَهُ﴾ ودلالته:

الهاء في ﴿بَعْدَهُ﴾ تحتل العود على القرآن، أي: لعلَّ أجلهم قد اقترب فمالهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الفوت وما ينتظرون بعد وضوح الحق، وبأي حديث أحق منه يريدون أو يؤمنوا؟⁽⁴⁾.

الحديث حقيقة
الخبر الحادث،
ومجازاً أي أمر
من شأنه أن
يصير حديثاً

التنكير دالٌّ على
عموم أي حديث
يُقال، أو يخطر
على البال

إفادة الترتيب
مع المغايرة،
وحملها على
معنى (غير)
ظاهرة

تعود الهاء
على القرآن أو
الرسول ﷺ، أو
الأجل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 198/9.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 444/2، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 199/9.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 199/9.

(4) الرّمخسري، الكشف: 134/2، والعكبري، التبيان في إعراب القرآن: 290/1.

وتحتملُ العَوْدَ على الرَّسُولِ، ويكونُ الكلامُ على حَدْفِ مضافٍ، أي: بعدَ خبره وقصّته، أي: فبأيِّ حديثٍ بعدَ حديثِ الرَّسُولِ يُؤْمِنُونَ وهو أَصْدَقُ النَّاسِ، وتحتملُ العَوْدَ على ﴿أَجْلُهُمْ﴾، أي: إنَّهم إذا ماتوا وانْقَضَى أَجْلُهُمْ فكيف يُؤْمِنُونَ بعدَ انقضاءِ أَجْلِهِمْ؟⁽¹⁾

دَلَالَةُ تَقْدِيمِ الظَّرْفِ ﴿بَعْدَهُ﴾ فِي السِّيَاقِ:

تَقَدَّمَ الظَّرْفُ
يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّةِ
مَا يَكُونُ سَبَبًا
لِحَصُولِ الْإِيمَانِ

تَقَدَّمَ الظَّرْفُ ﴿بَعْدَهُ﴾ عَلَى الْفِعْلِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ وَجُودِ سَبَبِهِ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ كَالْقُرْآنِ وَالرَّسُولِ ﷺ أَوْ مَخَوِّفٍ يُخَشِى مِنْهُ الْفَوْتُ كَالْأَجَلِ، وَهَذَا كُلُّهُ سَائِقٌ لِلْإِيمَانِ وَمُقَدَّمٌ عَلَيْهِ⁽²⁾.

نُكْتَةُ اسْتِخْدَامِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

الْفِعْلُ يَدُلُّ
- مَعَ الْإِنْكَارِ
وَالْتَعْجِيبِ -
عَلَى اسْتِمْرَارِهِمْ
فِي عَدَمِ الْإِيمَانِ
لِلرَّبِّ

الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يُفِيدُ تَجَدُّدَ الْإِيمَانِ وَاسْتِمْرَارَهُ فِي قُلُوبِ أَصْحَابِهِ، لَكِنَّهُ جَاءَ فِي سِيَاقِ الْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ لِأُولَئِكَ الْمَكْذِبِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ مَعَ وَضُوحِ دَلَالَاتِ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ الْمَشَاهِدَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَشُمُولِ قُدْرَتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ وَوَسْعِ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالتَّعْجِيبِ كَذَلِكَ مِنْ حَالِهِمْ فِي إِنْكَارِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَكَأَنَّ بَيَانَ اللَّهِ يُؤْمَرُ بِاسْتِمْرَارِ عِنَادِهِمْ وَتَجَدُّدِ تَكْذِيبِهِمْ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَبَاعِكُمْ التَّصَدِيقُ بِمَا فِيهِ خَلَاصُكُمْ وَنَجَاتُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ⁽³⁾.

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجِمِيَّةُ:

مَلَكُوتٌ وَمُلْكٌ:

الْمَلَكُوتُ أَوْسَعُ
مِنَ الْمُلْكِ، وَهُوَ
مَخْتَصٌّ بِمُلْكِ
اللَّهِ تَعَالَى

الْمُلْكُ بِالضَّمِّ: مَا يُدْرِكُ بِالْحَسِّ، وَيُقَالُ لَهُ: عَالَمُ الشَّهَادَةِ، وَالْمَلَكُوتُ: مَا لَمْ يُدْرِكْ بِهِ، وَهُوَ عَالَمُ الْغَيْبِ، وَعَالَمُ الْأَمْرِ، وَلَكُونِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَالَمِ الْغَيْبِ كَالْقَطْرَةِ مِنْ الْبَحْرِ، يُسَمَّى الْأَوَّلُ:

(1) أَبُو حَتَّىان، الْبَحْرُ الْحَيْطُ: 236/5، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، الذُّرُّ لِلصَّوْنِ: 527/5.

(2) أَبُو حَتَّىان، الْبَحْرُ الْحَيْطُ: 236/5، وَأَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 444/2.

(3) أَبُو حَتَّىان، الْبَحْرُ الْحَيْطُ: 236/5، وَأَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 444/2.

مُلْكًا وَالثَّانِي مَلَكُوتًا؛ لِمَا تَقَرَّرَ مِنْ أَنَّ زِيَادَةَ الْمَبَانِي تَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَعَانِي، وَالْمُلْكُ: ضَبْطُ الشَّيْءِ الْمُتَصَرَّفِ فِيهِ بِالْحُكْمِ، وَالْمُلْكُ: الْحَقُّ الدَّائِمُ لِلَّهِ تَعَالَى، فَلِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التَّغَابِنُ: 1]، وَالْمَلَكُوتُ: مُخْتَصُّ بِمُلْكِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَهُوَ مَصْدَرُ مَلَكٌ، أُدْخِلَتْ فِيهِ التَّاءُ، نَحْوُ: رَحِمَوتُ وَرَهَبِوتُ لِلْمَبَالِغَةِ⁽¹⁾.

حديثٌ وَقُرْآنٌ وَقَوْلٌ وَخَبَرٌ:

الحديثُ: هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ عِدَّةِ أَشْيَاءَ، مَعَ التَّحْدِيثِ بِهَا، وَمِنْهَا حَدِيثُ الْإِيمَانِ وَحَدِيثُ الْقُرْآنِ، وَالْحَدِيثُ فِي الْأَصْلِ هُوَ مَا تُخْبِرُ بِهِ عَنْ نَفْسِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُسَنِّدَهُ إِلَى غَيْرِكَ، وَسُمِّيَ حَدِيثًا لِأَنَّهُ لَا تَقْدَمُ لَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ حَدَّثَ لَكَ فَحَدَّثْتَ بِهِ.

الحديثُ ما تُخْبِرُ
به عن نفسك،
من غيرِ إسناده
إلى غيرِكَ، وهو
الأثرُ في السِّيَاقِ

الْخَبَرُ: هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يَصْحُ وَصْفُهُ بِالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَيَكُونُ الْإِخْبَارُ بِهِ عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ غَيْرِكَ، وَالْأَصْلُ أَنْ يَكُونَ بِهِ الْإِخْبَارُ عَنْ غَيْرِكَ، وَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ؛ فَيَقُولُ: أَخْبَرُونِي، وَلَا يَقُولُ: حَدِّثُونِي؛ لِأَنَّ السُّؤَالَ اسْتِخْبَارٌ وَالْمُجِيبُ مُحْخَبَرٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْحَدِيثَ مَا كَانَ خَبَرَيْنِ فِصَاعِدًا، إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُتَعَلِّقًا بِالْآخَرِ، فَقَوْلُنَا: رَأَيْتُ زَيْدًا، خَبَرٌ، وَرَأَيْتُ زَيْدًا مُنْطَلِقًا، حَدِيثٌ⁽²⁾.

ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُ اللَّفْظَيْنِ حَتَّى سُمِّيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِاسْمِ الْآخَرِ، فَقِيلَ لِلْحَدِيثِ: خَبَرٌ، وَلِلْخَبَرِ: حَدِيثٌ.

الْقُرْآنُ: هُوَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْجَمْعِ، يُقَالُ: قَرَأَ، أَي: جَمَعَ، وَلِذَلِكَ يُفِيدُ جَمْعَ السُّورِ وَضَمَّ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، وَمِنْهُ الْقِرَاءَةُ؛ وَهِيَ ضَمُّ الْحُرُوفِ وَالْكَلِمَاتِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ فِي التَّرْتِيلِ، وَخُصَّ الْقُرْآنُ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَصَارَ لَهُ كَالْعَلَمِ،

(1) الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، ص: 511 - 512، وَالزَّاعِبُ، الْفُرَادَاتُ: (مَلَكٌ)، وَالْجَرَجَانِيُّ، التَّعْرِيفَاتُ، ص: 246، وَهَنْرِي لَامَنْسُ، الْفَرَائِدُ، ص: 380.

(2) الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ، ص: 210 - 211، 437، وَالزَّاعِبُ، الْفُرَادَاتُ: (خَبَرٌ)، وَالْجَرَجَانِيُّ، التَّعْرِيفَاتُ، ص: 181، 189، وَهَنْرِي لَامَنْسُ، الْفَرَائِدُ، ص: 215، 299.

وسُمِّيَ هذا الكتابُ قرآنًا من بين سائرِ الكتُبِ؛ لكونِهِ جامعًا لثمرَةِ كُتُبِهِ، بل لجمْعِهِ
ثمرَةَ جميعِ العلومِ.
القولُ: يدلُّ على الحكايةِ، ويقتضي القولَ بعَيْنِهِ مُفْرَدًا كَانَ أَوْ جُمْلَةً أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَ
ذلكَ، ولذلكَ تعدَّى تعدّيًا مُطلقًا، ولم يتعدَّ إلى غيرِ القولِ.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 15، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-11-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 15: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-768-11-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»